شعر المديح النبوي في الأدب العربي بين المقبول والمرفوض

أ . سالم مولود سالم أبوقبة ـ كلية الاقتصاد العجيلات
جامعة الزاوية

الإطار التمهيدي :

المدح فن عريق من فنون الشعر العربي ، وأكثره تناولاً عند شعراء العربية منذ عرف الشعر العربي علـى صورته المعروفة ، فيه تبارى الشعراء وتفاضلوا ، وفيه كان معاش بعضهم ، وقد وقف المهتمون بالشعر العربي قديماً وحديثاً مواقف متباينة من فن المدح ، فمنهم من أشاد به ، ومنهم من أنكره ، وقد جرت العادة في الجاهلية أن يتوجه الشعراء إلى الرجال البارزين بالمدح والثناء ، وعندما بعث الرسول ﷺ اتجهت إليه أنظار العرب في الجزيرة العربية ، وانقسموا تجاه رسالته السماوية ما بين مؤيد لها، مؤمن بها ، وبين منكر لها ، كافر بها ، فالجاحد لهدي النبـي الأمين هاجمه ، وأظهر الخوف علـى القيم الجاهلية التـي تحفظ امتيازاته ، والمصدق المؤمـن توجـه بالمدح إلـى الرسـول الكريم ﷺ ، ومـن هـنا نشأ المـدح النبوي (1) وافترق عن غيره من المدح ، لأنه مرتبط بذات النبي المصطفى ، والنبي ﷺ يختلف عن غيره من البشر ، فشخصية الرسول الكريم ﷺ العظيمة شغلت العرب وبهرتهم ، فاتجه الشعراء إليه بالمدح (2) فتاريخ المدح النبوي يرجع إلى بدايات العصر الإسلامي ، ومن أقدم ما مدح به الرسول ﷺ قصيدة الأعشى (3) التي يقول فيها : من الطويل

ألم تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيلةَ أرمَدا … وعَـادَاكَ مـا عَـادَ السَـليمَ المُسَـهدا

وما ذاكَ مِن عِشقِ النِساءِ وإنما … تَناسيتُ قبلَ النَومِ خِلةَ مَهددا (4)

والقصيدة مروية فـي الكثير مـن كتب الأدب ، وهـي قسمان : قسم للغزل ، وقسم خص فيه الأعشى النبي ﷺ بالمدح ، وقد تأثر فيها الأعشى تأثراً واضحاً ببعض آيات القرآن الكريم في معناها أو في ألفاظها ؛ مما يدلل على إلمامه بتعاليم الإسلام إلماماً حسناً ، وهو ما يناقض زعم بعض الرواة في قولهم : حين علم أن الإسلام يحرم الخمر تراجع عن الدخول في الإسلام (5) على حين أننا نرى د زكي مبارك (6) يذهب إلى أن الأعشى لم يقل هذا الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول ﷺ وإنما كانت محاولة أراد بها الأعشى التقرب من الرسول ﷺ وآية ذلك أنه انصرف حين صرفته قريش ، ولو كان صادقاً ما تحول (7) على أننا نرى الأعشى قد أسلم وحسن إسلامه ، وكيف يدخل الكفر قلب شاعر يصف الرسول ﷺ قائلاً ومخاطباً ناقته (8) من الطويل

فآليـتُ لا أرثـي لَهـا مِـن كَلالـةٍ … ولا مِـن حَفـا حَتـى تَـزورَ مُحمـدا

مَتى ما تُناخي عِندَ بَابِ ابنَ هَاشِمِ … تُريحي وتَلقي مِن فَواضِلِهِ يدا

نَبيٌّ يَرى مالا يَرون وذِكرهُ أغــارَ لَعمـري فــي البلادِ أنجـدا (9)

هذا وتجدر الإشارة إلـى أن المدائح النبوية هـي ما قيـل بعد وفاة النبي ﷺ مـع العلم بأن ما يقال بعد الوفاة يسمى رثـاء ، إلا فـي رسول الله ﷺ فيسمى مدحاً ، وكأنهم لاحظوا أن رسول الله ﷺ موصول الحياة ، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء ، والثناء على الميت لا يسمى رثاء إلا إذا قيل في أعقاب الموت ، ولذلك نراهم يقولون : قال حسان بن ثابت (10) يرثي النبي ﷺ بفرق بيـن الحالين من الثناء ، ما كان في حياة الرسول ﷺ وما كان بعد موته مباشرةً ، وهو بخلاف ما يقع من شاعر ولد بعد وفاة النبي ﷺ فإن ثناءه عليه مديح لا رثاء (11) .

ويأتي بعد الأعشى كعب بن زهير (12) في قصيدته الشهيرة بانت سعاد ، وأولها **:** من البسيط

بَانتْ سُعادُ فقلبي اليَومَ مَتبولُ مُتيَّمٌ إثرَها لَم يُجز مَكبولُ
وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إذ رَحلوا إلاّ أغَنٌ غضيَضَ الطرفِ مَكحولُ
هَيفاء مُقبلةً عَجزاء مُدبرةً لا يُشتكى قِصرٌ مِنها ولا طوُلُ (13)

وهي قصيدة قالها في مدح الرسول ﷺ وقد قيل إنها لم تنظم إلا في سبيل النجاة من القتل ، وفي ظروف تبين أن كعب بن زهير لم يقل لاميته وهو مأخوذ بعاطفة دينية قوية تسمو به إلى روح التصوف ، وإنما هي قصيدة من قصائد المديح يقولها الشاعر حينما يرجو أو يخاف ، وليست من المدائح النبوية في شيء ، ومهما قيل فإن هذا لا يجعلنا ننكر للأعشى وكعب بن زهير الدور الذي قاما به في سبيل تأسيس لون جديد من ألوان الأدب العربي في عالم الشعر ، وهو الشعر الديني ، ثم يأتي بعد الشاعرين الكبيرين الأعشى وكعب بن زهير الشاعر حسان بن ثابت رأس البديعيين على الإطلاق (14) وهذا الشاعر من أكبر وأكثر شعراء رسول الله محمد ﷺ صدقاً وإخلاصاً فـي مـدحه ، فقد كان يمـدح رسـول الله محمـد ﷺ ويقارع خصومـه ويلاحيهم (15) وينافحهم (16) علـى الطرائق الجاهلية ، وكان نبي الأمة ، ورسول الإنسانية ﷺ قد أوصى الشاعر حسان بـن ثابت أن يأخذ علم الأنساب من أبي بكر الصديق (17) ليكون شعره أوجع في هجاء المشركين ولعل أقوى قصيدة في مدائح حسان بن ثابت هي العينية التي يقارع فيها الخصوم ويلاحيهم ، ويتخذ مدح الرسول ﷺ ومدح أهله سنداً لما عمد إليه من المقارعة والملاحاة ، وهي قصيدة تمجيد لأتباع الرسول ﷺ وأولها : من البسيط

نَحنُ الكِرامُ فَلا حَيٌّ يُعادلنا مِنَّا المُلوكُ وفِينا يُقسمُ الربَعُ
وكَم قَسَرنـا مِن الأحياءِ كُلِهم عِندَ النِصابِ وفَضلُ العِز يُتَّبعُ (18)

وفيها يقول في مدح رسول الله ﷺ **:**

إنَّ الذَوائبَ مِن فِهرٍ وإخوتِهم قد بَينوا سُنَّةً لِلناس تُتَّبعُ
يَرضى بِها كُلُ من كَانت سَريرتـهُ تَقوى الإلهِ وبالأمر الذي شَرَعوا
أعطوا نَبي الهُدى والبر طاعتهم فَما ونى نَصرهم عَنهُ ومَا نَزعوا (19)

ويتسع شعر المديح النبوي وينتشر ليشمل نسل النبي ﷺ من آل بيته وأصحابه وأتباعه وأنصاره ، ولعل أول من مثل هذا الاتجاه من الشعراء الفرزدق (20)

حين مدح علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (21) في حضرة الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان (22) وقوله حين رفض العطية **: مدحت الله تعالى لا للعطاء** ، وذلك في قصيدة يقول فيها **:** من البسيط

هذا الذي تَعرف البَطحاءُ وَطأتَهُ والبَيتُ يَعرفُهُ والحِلُ والحَرَمُ
هذا ابنَ خَيرَ عِبادِ اللهِ كلهم هذا التَقيُ النَقيُ الطاهرُ العَلَمُ
هذا ابن فاطمةٍ إن كُنتَ جَاهلهُ بجدهِ أنبياءُ اللهِ قد خُتموا (23)

ويمكن القول بأن مدح الشاعر الفرزدق للنبي ﷺ وأهله هو بداية انتشار رائحة التصوف في المدائح النبوية ، هذا بالإضافة إلى شعراء آخرين قضوا أعمارهم في مدح الرسول ﷺ والدفاع عن أهل البيت ، ولقوا في ذلك من المتاعب ومن المحن والمكاره ما يدل على نصيبهم من صدق الوجدان والعاطفة وحب آل البيت حباً لا يعدله أي حب أمثال الشاعر الكُميت (24) وشاعر آل البيت دِعبل الخزاعي (25) والشاعر أبي الطُفيل (26) كما أن هناك شعراء لم يوقفوا حياتهم على هذا الفن الشعري وحده ، وإنما كانت لهم فيه مواقف موصولة بصدق اليقين ، وحرارة العاطفة في حب رسول الله محمد ﷺ وآل البيت ومدحهم أمثال الشريف الرضي (27) ومِهيار (28) كما يوجد في الدولة الفاطمية شعراء أطالوا القول في مدح الرسول ﷺ وآل البيت ، ولكن هؤلاء الشعراء كان صدقهم مشوباً بروح النفع ؛ لأن الفاطميين كانوا قد أقاموا ملكاً عظيماً في مصر والمغرب ، وانتصارهم كان لإثارة بعض الشكوك حول عواطف من مدحهم من الشعراء ، ولكن هذا لا يعني أن مدح المنتصر يخلو من الصدق ، ولكن معناه أنه بعيد عن التصوف ؛ لأنه متهم بحب النفع ، وهيهات أن يقف مثل الشاعر ابن هانئ الأندلسي **(29)** أمام وصف شاعر مثل الكُميت ؛ لأن علامة التصوف هي الشجاعة ، والشجاعة لا يحتاج إليها إلا في مواطن الرهبة والخوف ، وهي عندئذ دليل على حفظ العهد ، وصدق اليقين ، وهو ما وجد في شعراء المدح النبوي على مر العصور ، ولقد كان شعر المديح النبوي غزيراً جداً لا يحيطه حصر ، ولا يحده حد ، حيث بلغ شعراء المدح النبوي عدداً لا يحصى ، وكثير من هؤلاء الشعراء نظموا دواوين مستقلة وقصروها على المدح النبوي ، وقد وصف المقري المدائح النبوية بقوله : " والمدائح النبوية بحر لا ساحل له " وقد أدرك الأدباء والمؤلفون هذه الحقيقة فعجبوا لهذه الكثرة الكاثرة من مدائح رسول الله ﷺ وتساءلوا عن المدى الذي يستطيع شعراء المديح النبوي الوصول إليه في هذا الباب ، وما الذي يمكن أن يقولوه بعد أن بذلوا طاقاتهم كلها في رصفه ونظمه ، ومع هذا فإننا نلاحظ تهيب الكثير من الشعراء الكبار من المشاركة في شعر المدح النبوي أمثال الشاعر أبي الطيب المتنبئ (30) والشاعر أبي تمَّام (31) والشاعر البُحتري (32) ، وأن هذا التهيب لم يمنع أكثر الشعراء من المشاركة الواسعة فيه ، وإفراغ جهدهم في نظمه ؛ لأن كل شاعر حريص على أن تكون له مشاركة **(صغيرة أم كبيرة)** في هذا الفن ؛ لأنه يؤمِّن للشاعر الشهرة ومعرفة

الناس له من ناحية ؛ ولأنه يطمع بغفران الله وثوابه من ناحية أخرى ، ومع ذلك فقد أدرك أهل العصر أن الإطناب في مدح رسول الله ﷺ والإكثار من نظم المدائح النبوية لم يفِ بحق رسول الله ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من المضي فيه .

البحث : لقد أضحى المديح النبوي في الشعر العربي فناً خاصاً قائماً بذاته ، وله أهميته عند شعراء العربية ، وله انتشاره وسيرورته ، وأصبح جزءاً لا يستهان به في الشعر العربي ، إضافة إلى ذلك فإن المدح النبوي أستأثر بأكبر قصائد الشعر العربي وأطولها ، حتى أصبح طول القصائد من الظواهر البارزة في المدح النبوي ، يسابق فيه الشعراء بعضهم ، كل واحد منهم يريد أن يتجاوز سابقه ؛ ليدلل على مقدرته ؛ ولتكون قصيدته جامعة لمعاني المدح النبوي ، فريدة في بابها ، فهمزية الإمام البوصيري (33) تزيد على أربعمائة بيت ، يقول في مطلعها : من الخفيف

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد حـ ـال سناً منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثَّل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصـ ـدر إلا عن ضوئك الأضواء (34)

ونونية الإمام الصرصري (35) وصلت إلى ثمانمائة وخمسين بيتاً ، يستهلها بقوله : من الكامل

سبحان ذي الجبروت والبرهان والعز والملكوت والسلطان
والحمد لله الكريم الرازق الخـ ـلاق متقن صنعة الإنسان
والله أكبر لا إله سواه لي سبحانه هو للصواب هداني

أصبحت أنظم مدح أكرم مرسل لهجاً به في رائق الأوزان (36)

وغير ذلك كثير ، فغزارة المدح النبوي تجلت في كثرة الشعراء الذين شاركوا في هذا الفن ، وفي الدواوين الكثيرة المخصصة للمدح النبوي ، والمجموعات الشعرية التي لم يعهدها الشعر العربي من قبل ، هذا كله يدل على أن فن المدح النبوي قد رسخ وأصبح غرضاً رئيساً من أغراض الشعر العربي (37) .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الصدد هو ، لماذا لم يشارك الكبار من الشعراء أمثال المتنبئ وأبي تمَّام والبُحتري في مدح رسول الله ﷺ ؟ .

قال بعض العلماء " إن تهيب هؤلاء الشعراء من المدح النبوي مرده إلى حديث مروي عن أبي هريرة (38) عن رسول الله ﷺ قوله : **" لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً "** (39) وهذا الحديث الذي يستشهد به كثير من العلماء والأدباء والنقاد في الأدب ناقص ؛ لأن السيدة عائشة (40) رضي الله تعالى عنها رفضت هذه الرواية ، وارتاعت عندما سمعتها وقالت : " لم يحفظ أبو هريرة حديث رسول الله ﷺ ، وإنما قال رسول الله ﷺ : **" لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً هُجيتُ به "** (41) وعلى هذا فرسول الله ﷺ كان

محباً للشعر الجيد ومعجباً به ، وهو أمر لا ينطبق على هؤلاء الفحول من الشعراء ، فقد ملأوا الدنيا شعراً في غير المدح النبوي .

وقال البعض الأخر إن سبب عدم مدح بعض مشاهير الشعراء كالمتنبئ وأبي تمَّام والبحتري للرسول ﷺ إنما هو نتيجة علمهم أنهم عاجزون عما يليق به ﷺ من المدح ، وكذلك عجز الناس كافة عن ذلك ، بل عجز الخلق أجمعين عن معرفة حقيقة فضائل سيد المرسلين ، وكنه كمالات حبيب رب العالمين ﷺ ولا يعلم ذلك حقيقة إلا الله تبارك وتعالى ، فلا يقدر على وصف هذا العبد الكريم إلا سيده العظيم عزَّ وجل ، ولكن ذلك لا يمنع هؤلاء وغيرهم من الشعراء من مدحه عليه السلام ، والتقرب إلى رضاه ورضا مولاه سبحانه وتعالى بقدر استطاعتهم ، فإن الله سبحانه وتعالى شرع لنا على لسان نبيه ﷺ أن نحمده تعالى ونشكره ونثنِّي عليه ، مع عجزنا الكامل عما يجب له ، ويليق به سبحانه وتعالى ، وكم مدح النبي ﷺ من رجالات من الصحابة ومن بعدهم من سادات أجلاء الواحد منهم أكثر أدباً مع رسول الله ﷺ من المتنبئ وأمثاله ، كما أن هؤلاء الشعراء الكبار قد أفرغوا جهدهم ، وأفنوا أعمارهم في مدح الأمراء والملوك ، وأظنهم خشوا من أن تكون مدائحهم في النبي ﷺ أقل مستوى من مدائحهم لهؤلاء الأمراء والملوك ، فتكون بذلك الزلة التي لا يغفرها لهم الناس ، وبذلك يفقدون مكانتهم التي أمضوا أعمارهم في بنائها .

وأرى أن السبب الصحيح والمباشر لعدم مدح هؤلاء الشعراء للرسول ﷺ هو أن مدحه عليه الصلاة والسلام من جملة الطاعات والعبادات ، فيحتاج إلى التوفيق من الله تعالى حتى يتيسر فعله ، وهؤلاء الشعراء وأشباههم لم يوفقوا لهذه الطاعات العظيمة ؛ وذلك لعدم تأهلهم لها بسبب ما اتصفوا به من أخلاق بعض الشعراء من نحو توغلهم في الكذب بأبلغ العبارات في المدح إن رضوا ، والذم إن غضبوا ، فضلا عن تعديهم على أعراض الناس ، وقذفهم للمحصنات ، والتشبيب بالنساء والغلمان ، ونحو ذلك من السفاهات ، وكفى بذلك مانعاً لهم من المح النبوي ، إذ الظلام والنور ضدان ، وفي آن واحد لا يجتمعان ، وكونهم من أكابر الشعراء لا يقتضي تأهلهم للتقرب لله بمدح نبيه الأكرم محمد ﷺ فإننا نرى كثيراً من الأغنياء لا يحجون ولا يزكون ولا يصدقون ، ونرى عكسهم كثيراً من الفقراء ، كما نرى كثيراً من الأقوياء لا يصلون ولا يصومون ولا يقومون الليل ، ونرى عكس ذلك عند كثير من الضعفاء ، وما ذلك إلا بسبب توفيق الله تعالى لكثير من الفقراء والضعفاء وعدم توفيقه لكثير من الأغنياء والأقوياء ، وكذلك يقال هنا عن حرمان المتنبئ وأبي تمَّام والبحتري وأمثالهم من الشعراء من هذا الخير العظيم في مدح النبي الكريم ، ويرزقه كثير من العلماء والصلحاء ممَّن بضاعتهم في الشعر قليلة بتوفيق الله تعالى لهم (42) .

والعجيب أن هذه الفكرة قد أخذت طريقها إلى بعض العقول ، فاخذوا يرددون مسألة العجز عن مدح رسول الله ﷺ ويضيفون إليها وينقصون ، فالأبشيهي (43) يتساءل قائلاً : " وماذا عسى أن يقول المادحون في وصف من مدحه الله تعالى

وأثنى عليه ؟ ، والله لو أن البحار مداد ، والأشجار أقلام ، وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا النزر اليسير من بعض صفاته ، ولكلّوا عن الإتيان ببعض وصف معجزاته " (44) وإذا ترسخت هذه القناعة في نفوس شعراء المدح النبوي ، فكيف يكون مدحهم لرسول الله ﷺ ؟ وإلى أي مدى يصلون فيه ؟ وهو الميدان الذي يكلُّ فيه فرسان البديهة والروية ، " بيد أن فرسان شعر المدح النبوي لم يلتفتوا إلى ذلك كله ، ولم يستسلموا لهذه الآراء ، وجردوا همتهم لقطف بعض معاني السمو المحمدي من الدوحة النبوية المباركة ، فكان لهم ما أرادوا " (45) مرددين قول الشاعر ابن شبرين الجذامي (46) : من الطويل

ألا يا مُحبَ المُصطفى زد صَبَابة وضَمَّخ لِسانَ الذِكرِ مِنكَ بطيبهِ

ولا تَعبئأن بالمُبطلينَ فإنما عَلامةُ حُبُ الله حُبُ حَبيبهِ (47)

وإذا كان ظهور المدائح النبوية ظهوراً مستقلاً وذا شأن قد تم في المرحلة السابقة للعصر المملوكي ، فإن المديح النبوي قد اتسع ورسخ واتضحت معالمه في هذا العصر ، وأضحت له تقاليده وأصوله ، وظهر الشعراء الذين اشتهروا به وأجادوا فيه ، فشغلت المدائح النبوية قدراً كبيراً من دواوين الشعراء أمثال الأعشى وكعب بن زهير وحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك والفرزدق ، ثم استقلت بدواوين خاصة بها مثل ديوان الفتح المبين في مدح الأمين للشيخة عائشة الباعونية ، وديوان البرق الساطع في مدح الحبيب الشافع للشيخ محمد المكي الإسماعيلي الحسيني ، وديوان السحر الحلال في مدح سيد الرجال للفقيه العالم الأديب أبي العباس أحمد بن الحاج العياشي ، وديوان كشف الغمة في مدح سيد الأمة لمحمود سامي البارودي ؛ لأن السيرورة التي رزقها فن المدائح النبوية لم تتهيأ في العصور السابقة لفن شعري آخر ، فنكاد لا نجد شاعراً من شعراء العصر لم تكن له مشاركة في هذا الفن الشعري ، حتى بلغ من الانتشار والكثرة والاتساع حداً استعصى معه على الحصر " وأي نظرة على فهارس المخطوطات بأية مكتبة تثبت ذلك وتجعل المرء في عجب من مشاركة معظم الشعراء في هذا الفن ، فكيف تهيأت لهم المشاركة بعد أن أفنى غيرهم أعمارهم في نظمه والتفنن فيه ؟ " (48) وقد تميز قدر كبير من المدائح النبوية بطول ظاهر ، لم نعهده في الشعر العربي ، فتجاوز عدد أبياتها المئين ، وذكرت قصائد مفرطة في الطول يكاد المرء لا يصدق أن قصيدة عربية بلغت هذا العدد من الأبيات .

" إن هذا الزخم الوافر من التراث الأدبي العريق ، وهذا الاتساع الكبير في انتشار فن المدائح النبوية ، وضرورة الإكثار منها ، كان لغاية متوخاة من ورائها ، وهي رفع الظلم عن العباد الذي ساد بسبب الحكم والحكام ، وقلة حيلة الناس في مكافحة الظلم " (49) فالمدائح النبوية قد أضحت فناً شعرياً مستقلاً له أصوله وقواعده ، وله شعراؤه الذين أوقفوا شعرهم عليه ، وله مريدوه وسامعوه الذين انفعلوا به ، فكان سميرهم في مجالس العلم والشعر ، وحلقات الدرس والذكر ، وكان وسيلة التعبير عن مشاعرهم وآلامهم وآمالهم ، ولطلب الراحة والطمأنينة

لنفوسهم المضطربة القلقة بسبب الهزات العنيفة التي تعَّرض لها المجتمع العربي والإسلامي على أكثر من صعيد " (50) فكانت المدائح النبوية تعكس رغبة الناس في الخلاص والصفاء ؛ لأن العرب المسلمين كانوا ومازالوا ينظرون إلى العصور الإسلامية الأولى على أنها المثل الأعلى للحياة الحقيقية التي تعطي للإنسان قيمته الإنسانية ، وتجعله يعيش حراً كريماً عزيزاً ، يشعر بمعنى الحياة ، ويحس بأنه يعيش من أجل هدف سام يريد الوصول إليه ، وتعكس ذلك شوقهم إلى البطولة الفذة ، والفضائل السامية التي تجسدت في شخصية الرسول الكريم محمد ﷺ فكانت المدائح النبوية على هذا الانتشار ، وعلى هذه الفاعلية ، وعلى هذا التقدير .

لذلك احتفل لها شعراؤها أيما احتفال ، وحاولوا إتقانها أيما إتقان ، ولو أتاح القدر للفرزدق أن يستمع إلى العديد من قصائد المديح النبوي الفريدة لما رفع جبهته من على الأرض سجوداً لأبياتها ، وهو الخبير بصناعة الشعر ، وقد سجد لبيت لبيد بن ربيعة العامري (51) من معلقته التي يقول فيها : من الكامل

وجَلا السَيولُ عَلى الطُلول كأنَها زُبرٌ تُجِدُ مُتونَها أقلامُها (52)

ولرأى هذه الفرائد من الأبيات الشعرية أولى بالسجود من بيت لبيد هذا ، وعندما لامه بعض الحاضرين من العلماء قال لهم : أنتم تعرفون مواضع السجود من القرآن الكريم ، ونحن نعرف مواضع السجود من الشعر (53) .

نتائج البحث :

1 ــ إن المدائح النبوية فن من فنون الأدب العربي ، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية الصادقة ، وباب من أبواب الأدب العربي الرفيع ، لأنها تصدر عن قلوب مفعمة بالصدق والأخلاق ، ومملؤة بالإيمان .

2 ــ تأثير شعر المديح النبوي في المجتمع حيث تجلى في مقاومة الاستعمار **(على غرار صحابة رسول الله ﷺ)** والمطالبة بالعدل ورفع الظلم عن العباد والعودة إلى روح الدين الإسلامي .

3 ــ ظهور الآثار الأدبية المختلفة والمتمثلة في كثرة التأليف والتصنيف والشروح والنقد الأدبي للذين لم يؤتوا موهبة شعرية تتيح لهم نظم المدائح النبوية ؛ حيث عنيت هذه الآثار بمعالجة قضايا المديح النبوي والبحث عن أصوله وقواعده .

4 ــ إنه من الواجب اهتمام مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا بشعر المديح الديني ، ولاسيما الشعر المقتصر على مناقب وفضائل إمام المرسلين ، وسيد الأولين والآخرين محمد ﷺ وذلك لأن إحياءنا لهذا الشعر إحياء لحياتنا الدينية والأدبية على السواء ، خاصة وأننا نقدم لطلابنا في دور العلم نماذج كثيرة من الشعر الذي يمدح رجالاً غير النبي محمد ﷺ .

هوامش:

(1) المدح النبوي : من الفنون الشعرية التي أذاعها التصوف ، وهو لون للتعبير عن العواطف الدينية ، وباب من أبواب الأدب الرفيع ، وهو أصدق الأغراض الشعرية عند العرب ، وهو ما قيل في النبي ﷺ حياً أو بعد وفاته ، ينظر المعجم المفصل في الأدب **2 : 776** ، د. محمد التونجي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، **1993 ف .**

(2) ينظر المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي 47 ، 48 ، د. محمود سالم محمد ، دار الفكر المعاصر، سوريا ، **1996 ف .**

(3) الأعشى : هو ميمون بن قيس بن جندل **(أبو بصير)** من قيس بن ثعلبة ، معروف بأعشى قيس ، يلقب بصناجة العرب ، عاش عمراً طويلاً ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، ينظر الأعلام للزركلي 7 : 341 ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، **ط 2 ، 1997 م** .

(4) ديوان الأعشى **46** ، دار بيروت للطباعة والنشر ، **1980 م .**

(5) ينظر المدائح النبوية في الأدب العربي **17** ، د. محمد زكى عبد السلام مبارك ، دار الجيل ، بيروت ، **1992 ف .**

(6) زكي مبارك : هو زكي بن عبد السلام بن مبارك ، أديب ومن كبار الكتاب المعاصرين ، أمتاز بأسلوب خاص في كثير مما كتب ، له شعر ، ولد في مصر بالمنوفية ، وتعلم بالأزهر ، ومات بالقاهرة عام **1371 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **3 : 47** .

(7) ينظر المدائح النبوية في الأدب العربي **17** .

(8) ينظر المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي **61** .

(9) ديوان الأعشى **46** .

(10) حسان بن ثابت بن منذر الخزرجى الأنصاري الصحابي ، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين ، عاش ستين سنة في الجاهلية ومثلها في الإسلام ، وكان من أهل المدينة المنورة ، ينظر الأعلام للزركلي **2 : 175** .

(11) ينظر المدائح النبوية في الأدب العربي **17** .

(12) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، شاعر عالي الطبقة ، من أهل نجد ، هدر النبي ﷺ دمه فجاءه مستأمناً ، وأنشد لاميته المشهورة ، فعفا النبي ﷺ عنه وخلع عليه بردته ، أسلم وحسن إسلامه ، وهو من أعرق الناس شعراً ، ينظر الأعلام للزركلي **5 : 226** .

(13) ديوان كعب بن زهير **60 ، 61** .

(14) ينظر تاريخ الأدب العربي **1 : 326** ، عمر فروّخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، **ط 4 ، 1981 م .**

(15) يلاحيهم : يشتمهم .

(16) ينافحهم : يخاصمهم ويكافحهم .

(17) أبو بكر الصديق : هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التميمي القرشي ، ، أول الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال ، وأحد أعاظم العرب ، ولد بمكة المكرمة ونشأ سيداً من سادة قريش ، بويع سنة **11 هـ** بالخلافة ، توفى بالمدينة المنورة سنة **13 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **4 : 102** .

(18) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري **232** ، شرح د. يوسف عيد ، دار الجيل ، لبنان ، **1992 م .**

(19) المرجع السابق **232** .

(20) الفرزدق : هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، أبو فراس ، من النبلاء ، من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ، صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، مات في بادية

البصـرة عام **110 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **8 : 93** .
(21) علي بن الحسين : هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب **(كرم الله وجهه)** زين العابدين ، الهاشمي القرشي ، أبو الحسن ، أحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع ، مولده بالمدينة المنورة بها توفى سنة **61 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **4 : 277** .
(22) هشام بن عبد الملك بن مروان : من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد في دمشق ، وبويع له فيها بعد وفاة أخيه يزيد ، كان حسن السياسة ، مات بالرصافة سنة **125 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **8 : 86** .
(23) ديوان الفرزدق **661** ، قدم له وشرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطبّاع ، دار الأرقم بن أبـي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيـع ، بيروت ، **1997 م** .
(24) الكُميت : هو الكُميت بن زيد بن خميس الأسدي ، أبو المستهل ، شاعر الهاشميين من أهل الكوفة ، اشتهر في العصر الأموي ، كان عالماً بالأدب من أصحاب المُلحمات ، مات سنة **126 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **5 : 233** .
(25) دعبل الخزاعي : هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، أبو علي ، شاعـر هجائـي ، أصله مـن الكوفة ، أقام ببغداد ، وكان صديق البحتري ، شعـره جيـد ، طال عمـره حتى مله ، توفـى سنة **246 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **2 : 339** .
(26) أبي الطُفيل : عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمر ، الليثي الكناني القرشي ، شاعـر كنانة ، وأحد فرسانها ، ولد يوم وقعة أحـد ، مات بمكـة المكـرمة سنة **100 هـ** ، وهو آخـر مـن مات مـن الصحابـة ، ينظر الأعلام للزركلي **3 : 255 ، 256** .
(27) الشريف الرضي : هـو محمد بـن حسين بن موسى ، أبو الحسن ، الرضـي العلوي الحسيني الموسوي ، أشعر الطالبيين ، مولده ووفاته ببغداد ، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده ، كان شاعراً مجيداً مات سنة **406 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **6 : 99** .
(28) مهيار : هو مهيار بن مرزويه الدليمي ، أبو الحسن ، شاعر كبير ، فـي معانيه ابتكار ، وفـي أسلوبه قوة ، فارسي الأصل ، من أهل بغداد ، كان من كتاب الديوان ، ومن الشعراء المجيدين ، توفى ببغداد سنة **428 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **7 : 317** .
(29) ابن هانئ الأندلسي : هو محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي ، أبو القاسم ، يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة ، أشعر المغاربة على الإطلاق ، متنبئ المغرب ، ولد بأشبيلية ومات ببرقة بليبيا سنة **362 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **7 : 130** .
(30) المتنبئ : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي ، أبو الطيـب المتنبـئ ، وأحد مفاخر العرب فـي الأدب ، ولد بالكوفة ، ونشأ بالشام ، مات سنة **354 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **1 : 115** .
(31) أبو تَمام : هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، وأحد أمـراء البيان ، ولد في سوريا ، ورجل إلى مصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد ، مات سنة **231 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **2 : 165** .
(32) البُحتري : هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عبيد البحتري ، شاعر كبير ، يقال لشعره سلاسل الذهب ، ولد بمنبج بين حلب وحماه بسوريا ، رحل إلى العراق ثم عاد إلى سوريا ، مات بمسقط رأسه منبج سنة **284 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **8 : 121** .
(33) البوصيري : هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين ، أبو عبد الله ، نسبته إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر ، أمه منها ، أصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون ، شاعر حسن الديباجة ، مليح المعاني ، أشهر شعره البردة ، ولد في بهشيم سنة **608 هـ** ، ومات بالإسكندرية سنة **696 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **6 : 139** .

(34) ديوان البوصيري 46 ، محمد سيد كيلاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة مصر ، **ط 2 ، 1973 م .**
(35) الصرصري : هو يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري ، أبو زكريا جمال الدين ، شاعر من أهل صرصر ببغداد ، كان ضريراً ، وله ديوان شعر كبير في المدائح النبوية ، قتله التتار عندما دخلوا بغداد سنة **656 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **8 : 177** .
(36) ديوان الإمام الصرصري .
(37) ينظر المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي **483** .
(38) أبو هريرة : هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، المكنى بأبي هريرة ، صحابي ، كان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له ، نشأ يتيماً ، قدم المدينة المنورة وأسلم سنة **7 هـ** ، مات بالمدينة المنورة سنة **59 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **3 : 170** .
(39) صحيح البخاري حديث رقم **6154** ، **3 : 170** . للإمام محمد بن إسماعيلبن إبراهيم الجعفي تالبخاري ، موافقة لترقيم وتبويب الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، مكتبة الصفا ، القاهرة مصر ، **ط 1 ، 2003 م** .
(40) عائشة : هي أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان ، من قريش ، أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بأمور الدين والأدب ، تكنى بأم عبد الله ، زوج رسول الله ﷺ وأحبهم إليه ، ماتت بالمدينة المنورة سنة **58 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **3 : 240** .
(41) ينظر الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة عن الصحابة 54 ، بدر الدين الزركشي ، مطبعة الهاشمي ، سوريا ، بدون تاريخ .
(42) المجموعة النبهانية **1 : 17 ، 18 ، 19 ، يوسف بن إسماعيل النبهاني ، دار الفكر .**
(43) الأبشيهي : هو محمد بن أحمد منصور الأبشيهي المحلي ، بهاء الدين ، أبو الفتح ، صاحب المستطرف ، نسبته إلى أبشويه من قرى الغربية بمصر ، ولد ومات بها سنة **852 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **5 : 332** .
(44) المستطرف **1 : 330** ، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي ، دار مكتبة الحياة ، **1995 م .**
(45) ينظر المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي **286 ، 287** .
(46) ابن شبرين الجذامي : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن شبرين الجذامي ، القاضي المؤرخ الأديب البارع ، من أهل سبتة ولد بها عام **674 هـ** ، ومات عام **747 هـ** ، ينظر ترجمته في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 5 : 418 ، مؤلفه أحمد محمد المقري التلمساني ، تحقيق إحسان عباس ، الناشر دار صادر بيروت لبنان ، 1968 م .
(47) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب **5 : 418** .
(48) ينظر المدائح النبوية حتى نهاية العصر المملوكي **17 ، 18** .
(49) المرجع السابق **18** .
(50) المرجع السابق **207** .
(51) لبيد بن ربيعة : هو لبيد بن ربيعة بن مالك ، أبو عقيل ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، من عالية نجد ، أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، سكن الكوفة ، عاش عمراً طويلاً ، مات سنة **41 هـ** ، ينظر الأعلام للزركلي **5 : 240** .
(52) ديوان لبيد بن ربيعة العامري **108** ، اعتنى به حمدو طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان **ط 1 ، 2994 م .**
(53) ينظر الهمزية في مدح خير البرية **14** ، د. عبد العظيم إبراهيم أحمد المطعني ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، **2002 م .**